حرية
عدالة
مواطنة

البديل

اسبوعية-سياسية-مستقلة

رئيس التحرير : حسام ميرو

العدد (١٦٢) ٢٠١٤/١٠/١٩ م | www.al-badeel.org | Issue (162) 19/10/2014

جماهير «داعـــش»

حسام ميرو

ضباط بعثيون "صداميون حتى النخاع" يقودون اليوم المعارك في "داعش" إلى جانب جهاديين من جنسيات عربية وأوروبية وغربية وآسيوية، وكأن خندق "داعش" بات ملاذاً لهؤلاء، ومنطلقاً لوجودهم، ومن ورائهم جماهير تقبع بيننا، البعض يؤيدهم علناً، والآخر يبرر، وكأننا أمام مشهد اللامعقول، فكيف تمكن هذا الكائن من حشد متناقضات لا يمكن تخيلها للوهلة الأولى في سلة واحدة؟

على الرغم من كل الحملات الإعلامية ضد تنظيم الدولة الإسلامية إلا أن هذه الحملات تبقي جزءاً من الواجهة الرسمية للدول، ولا تمثل الواقع بأمانة ودقة، إذ قلة هي التقارير، بل تكاد تكون معدومة، التي ترصد تنامي جمهور "داعش"، ويبقى الخطاب الإعلامي الرسمي عند حدود الخبر، ولا يذهب نحو التقصي الحقيقي، وقراءة الأسباب التي تقف وراء تنامي شعبية العنف والتطرف لدى شرائح كثيرة، ترى بأن "داعش" هي التعبير عن مظلوميتها في وجه قوى أخرى مارست أو تمارس ضدها عنفاً وإلغاءً لهويتها ومصالحها وتاريخها ووجودها.

هل يقع اللوم على هذه الفئات التي باتت ترى نفسها بدلالة طائفية "سنية" يمثل "داعش" رأس حربتها ضد إيران "الشيعية" أو الغرب "المسيحي" و"الكافر"؟.

يمكن ببساطة اتهام كل من يقف عقائدياً وأيديولوجياً إلى جانب "داعش" بالإرهاب، فهذا هو الجانب السهل الذي يخلصنا من عناء البحث والتحليل والكشف عن جذور مشكلات المنطقة التي أوصلتنا إلى الحال الذي نحن عليه، وفتحت الباب أمام عودة صراع الهويات القاتلة، بدلاً من أن تفتح التاريخ على التقدم الاجتماعي والاقتصادي، وبناء دول تحترم مواطنيها، وتكرس سيادة القانون، وقيم المواطنة.

لقد أسقط نظام صدام حسين في العراق لكن من دون أن ينعم العراق بما كان يأمل به العراقيون من دولة ديمقراطية تعددية، تنهي سنوات الخوف والقمع، وتطلق مشروعاً يحتوي كل الطاقات العراقية، وبدلاً من ذلك، مضى العراق نحو هاوية الطائفية، واستقواء مكون داخلي بالخارج ضد مكون آخر، وأصبحت الميليشيات هي البديل عن الدولة، وتنامت طبقة سياسية انتهازية غير معنية بالشعب العراقي، وإنما بتحقيق مصالحها، وإبرام صفقات تدعم ثروتها ونفوذها.

العراق مثال فاقع لتدهور الدولة في منطقتنا، لكنه ليس المثال الوحيد، فالدولة المستباحة من قبل فئة معينة تعيد إنتاج مصالحها ونفوذها هي حال عامة، ولم تكن سورية لتصل إلى ما وصلت إليه الآن لو كان النظام الحاكم يتمتع بأدنى درجات الوطنية التي تجعله يقرأ مخاطر التعنت في وجه مطالب السوريين التي أطلقتها انتفاضتهم، وفي مقدمتها انزلاق سورية إلى خطر الطائفية، وما يتفرع عنها من ردود فعل، وفي مقدمتها تنامي التطرف.

هل يتعين على من عانوا من حرب النظام ضدهم خلال الأعوام الثلاثة الماضية، ومن إدارة المجتمع الدولي الظهر لمأساتهم المتزايدة أن يقفوا إلى جانب التحالف الدولي ضد "داعش"؟.

إن تكلفة الحرب على "داعش" ستصل إلى عشرات المليارات من الدولارات، ولا تواجه الولايات المتحدة وحلفاؤها أية مشكلة في تأمين الأموال اللازمة لهذه الحرب، بينما قلصت الأمم المتحدة في الآونة الأخيرة المساعدات المقدمة للسوريين داخل سورية وخارجها بحجة عدم توفر الأموال اللازمة، وعدم وفاء الكثير من الدول بالتزاماتها التي كانت قد قطعتها على نفسها في أوقات سابقة.

إن ظهور "داعش" كان نتيجة منطقية لمجمل المنطق الذي أديرت من خلاله الأزمتين العراقية والسورية، كما أنه نتيجة منطقية لتصاعد أزمات المنطقة، وتحولها إلى ساحة هشة ومخترقة.

حاولت دول المنطقة عبر العقود الثلاثة الأخيرة إدارة صراعاتها عبر أدوات متخلفة، خشية أن يؤدي المسار الطبيعي من صعود قوى مجتمعية وطنية تهدد مصالح الفئات الحاكمة، وهكذا فإن الأنظمة العربية، كانت تنظر للاعتدال ونبذ التطرف لكنها عملياً كانت توسع دائرة الطائفية ومنطقها وتوجد الأرضية اللازمة لقوى طائفية. جماهير "داعش" اليوم كان من الممكن أن يكونوا جماهير المشروع الوطني الديمقراطي، والذي أجهض خدمة لأنظمة تدرك جيداً أنها نقيض هذا المشروع.

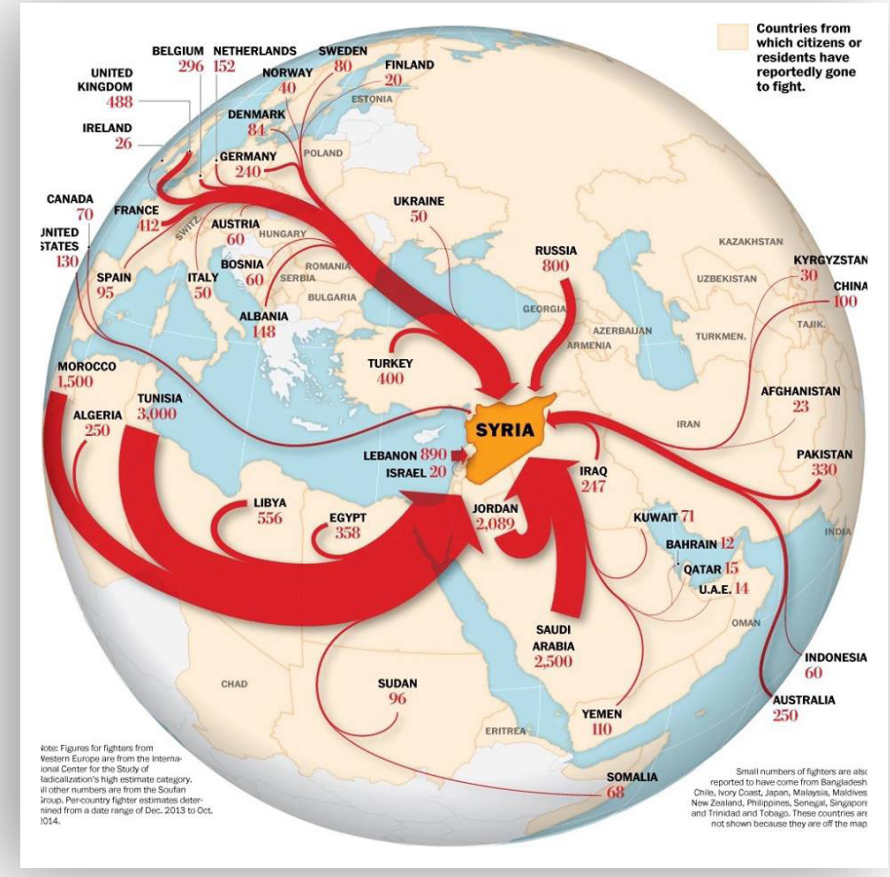

الضربات الجوية المكثفة تعوق تقدم الدولة الاسلامية في «كوباني»

ينظر الى الهجوم المستمر من قبل تنظيم الدولة الإسلامية على عين العرب "كوباني" منذ أربعة أسابيع على أنه اختبار لاستراتيجية الضربات الجوية للرئيس الأمريكي باراك اوباما، وقال الزعماء الأكراد مراراً إن بلدة كوباني المحاصرة لن تنجو دون وصول اسلحة وذخيرة للمدافعين عنها، وهي خطوة لم تسمح بها تركيا حتى الآن.

هذا، وتباطأ تقدم مقاتلي تنظيم الدولة الاسلامية في بلدة كوباني السورية الحدودية بعد يومين (الأربعاء والخميس) من الغارات الجوية المكثفة التي شنتها الطائرات الحربية الأمريكية.

وزادت وتيرة الغارات الجوية للتحالف زيادة كبيرة. وقالت القيادة المركزية الأمريكية إن طائرات أمريكية مقاتلة وقاذفة قنابل نفذت 14 غارة على أهداف لتنظيم الدولة الإسلامية قرب مدينة كوباني الحدودية يومي الأربعاء والخميس.

وأضافت في بيان إن الغارات الجوية أبطأت فيما يبدو من تقدم التنظيم المتشدد، لكن "الوضع الأمني على الأرض في كوباني لا يزال هشاً".

وتسعى الدولة الإسلامية للسيطرة على كوباني لتعزيز موقفها في شمال سوريا بعد ان سيطرت على مساحات كبيرة من الأراضي السورية وأيضا الأراضي العراقية. وإذا هزمت الدولة الإسلامية في كوباني فستكون هذه نكسة كبيرة للجهاديين وتعطي دفعة لأوباما.

وقال صحفي في كوباني إن الضربات الجوية مكنت القوات الكردية من شن هجمات للمرة الأولى منذ بدء هجوم الدولة الإسلامية قبل أربعة أسابيع.

وقال عبد الرحمن جوك لرويترز في اتصال هاتفي إنه شاهد بعض مواقع وحدات حماية الشعب في شرق البلدة يوم الاربعاء والتي كانت الدولة الاسلامية تسيطر عليها قبل يومين فقط.

وأضاف أن المسؤولين في كوباني يقولون إن الغارات الجوية كافية، لكن هناك حاجة لتحرك بري لطرد الدولة الإسلامية، وان وحدات حماية الشعب قادرة تماما على القيام بذلك، لكنها بحاجة إلى مزيد من الأسلحة.

واستبعد المسؤولون الأمريكيون ارسال قوات برية لمكافحة مقاتلي الدولة الإسلامية، لكن القوات الكردية توصف بأنها من الشركاء الذي يعول عليهم للتحالف. وتلقى الأكراد في العراق شحنات أسلحة غربية لتعزيز موقفهم. ولكن لم تصل أسلحة أو ذخيرة إلى كوباني حسبما يقول المقاتلون هناك.

وترفض تركيا الإذعان للضغوط لمساعدة كوباني إما بإصدار أوامر إلى الدبابات والقوات التركية التي تصطف على امتداد الحدود بدخول المدينة أو السماح بوصول الأسلحة والذخائر إلى المدينة.

وتأبى أنقرة أن تنجر إلى مستنقع الحرب السورية قبل الحصول على ضمانات من حلفائها الغربيين بأنه سيجري بذل مزيد من الجهد للمساعدة في إعادة 1.6 مليون شخص فروا عبر الحدود من سوريا إلى بلادهم.

ويخشى المسؤولون أيضا مغبة تسليح المدافعين الأكراد عن كوباني الذين تربطهم روابط وثيقة بحزب العمال الكردستاني الذي يخوض تمرداً عمره عقود على الحكومة التركية في الجنوب الشرقي الذي يغلب الأكراد على سكانه.

ويشعر المسؤولون الأتراك باستياء متزايد من الانتقادات الموجهة إلى تصرفاتهم بشأن كوباني، قائلين إنهم يتحملون الأعباء الإنسانية الناجمة عن المعارك التي أدت إلى فرار 200 ألف شخص عبر الحدود من منطقة كوباني.

تنظيم الدولة الإسلامية يحلق بثلاث طائرات فوق سورية

قال المرصد السوري لحقوق الإنسان يوم الجمعة إن طيارين عراقيين كانوا قد انضموا إلى الدولة الإسلامية في سوريا لتدريب أعضاء في التنظيم على قيادة ثلاث طائرات مقاتلة تم الاستيلاء عليها، مشيراً إلى أن هذه هي المرة الأولى التي تكون للتنظيم فيها طلعات جوية.

وأضاف المرصد نقلا عن شهود في محافظة حلب قرب القاعدة الواقعة على بعد 70 كيلومترا جنوبي تركيا إن التنظيم لديه الآن مدربون هم ضباط عراقيون كانوا طيارين في جيش صدام حسين. وقال إن هناك شهودا رأوا الطائرات وهي تقلع مراراً من المطار وتعود إليه.

ولم يتضح ما إذا كانت هذه الطائرات مسلحة وما إذا كان الطيارون يمكنهم التحليق بها لمسافات طويلة. وبحسب التقرير أيضا ذكر الشهود ان الطائرات تبدو من طراز ميج 21 أو ميج 23 ، وأنه تم الاستيلاء عليها من الجيش السوري.

وقال الكولونيل باتريك رايدر المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية "لا علم لنا بأي طلعات جوية للدولة الإسلامية في العراق والشام (مستخدما الاسم السابق للتنظيم) فوق سوريا أو غيرها".

"وتابع: "نحن مستمرون في مراقبة نشاط (الدولة الإسلامية) عن كثب في سوريا والعراق، وسنواصل توجيه ضربات تستهدف معداتها ومنشآتها ومقاتليها ومراكز تواجدها أينما كانت."

وقال الجنرال لويد أوستن قائد القيادة المركزية الأمريكية إنه لا يستطيع تأكيد أن طيارين عراقيين انضموا إلى الدولة الإسلامية.

وقال في إفادة صحفية بمقر وزارة الدفاع (البنتاجون) "ليس لدينا أي تقارير من العمليات عن قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام بإطلاق طائرات، وبالتالي لا يمكنني تأكيد ذلك. وفيما يتعلق بأن الأمر بلغ درجة أن طيارين ربما انشقوا وانضموا لصفوف الدولة الإسلامية في العراق والشام ليس لدي أي معلومات عن ذلك أيضا."

وكانت حسابات مؤيدة للدولة الإسلامية على موقع تويتر قد نشرت صوراً لطائرات تم الاستيلاء عليها في أجزاء أخرى من سوريا، لكن الطائرات بدت غير مستخدمة بحسب ما قاله محللون ودبلوماسيون.

واستخدم التنظيم بانتظام أسلحة استولى عليها من الجيشين السوري والعراقي، واجتاح عدة قواعد عسكرية، لكن إذا تأكد أن التقرير صحيح ستكون هذه هي المرة الأولى التي يتمكن فيها التنظيم من قيادة طائرات حربية.

استعمار جديد أم ضرورة لإسقاط الأسد؟

التدخل التركي في عيون السوريين

تحقيق- عصام عطا الله:

دبابات تركية متمركزة قرب الحدود السورية.

ينقسم موقف الشارع السوري حيال التدخل البري العسكري لتركيا، وإن يميل في المناطق المحررة نحو هذا التدخل، ويؤيد الموقف الرسمي التركي إزاء هذا التدخل العسكري، حتى لو اختلفت المصالح والدوافع، ف "السوريون" يرغبون بالتدخل التركي في إطار تفاهم دولي يحد من أية أطماع استعمارية محتملة، ولا يعدون التدخل التركي في هذا الإطار عدواناً على عكس النظام السوري الذي صرح أن "التدخل التركي يشكل عدواناً موصوفاً على دولة هي عضو مؤسس في منظمة الأمم المتحدة". يقول الأستاذ مراد: "الدول ليست جمعيات خيرية، والتدخل التركي سيأتي في إطار المصلحتين التركية والسورية لأن الطرفين متفقان على ضرورة إسقاط نظام الأسد منبع الإرهاب والطائفية".

ويرى سوريون أن التدخل العسكري التركي حاصل لا محالة، غير أن المسألة مسألة وقت لا غير، وتركيا تعمل لذلك لكن بهدوء، فهي تعد الجبهة الداخلية في تركيا شعبياً بعد أن هيأت للأمر من الناحية القانونية، ولن تعدم تركيا المبررات والحجج لهذا التدخل، وربما يكون قبر الشاه سليمان أحد هذه المبررات، وبحسب ما صرح الرئيس التركي أردوغان: "لن نتردد بتاتاً في الرد في حال حصل أي شيء هناك، يتمركز أربعون من جنودنا في هذه المنطقة التي هي أرض تركية، وإذا مست شعرة واحدة من جنودنا ستقوم تركيا والجيش التركي بكل ما يلزم، وسيتغير كل شيء ابتداء من تلك اللحظة". ويتابع الأستاذ مراد موضحاً: "تركيا تهيئ المجتمع التركي لهذا التدخل، ولكن ذلك غير كاف بالنسبة لتركيا، فهناك قوى إقليمية ودولية ترفض هذا التدخل، وقد عبرت إيران وروسيا عن ذلك بشكل واضح".

ويتوقع تنظيم الدولة الإسلامية هذا التدخل التركي، وربما هذا ما يفسر حرص تنظيم الدولة الإسلامية السيطرة على كل المدن الحدودية مع تركيا، فهو يتوقع أن تكون هذه المدن نقاط انطلاق للحرب على التنظيم، يقول أبو البهاء الأنصاري: " الحلف الصليبي الطاغوتي يدرك استحالة القضاء على الدولة الإسلامية عبر الضربات الجوية، ويعتقد أن التدخل البري سيحقق له هذه الغاية، ونسي أنه سيفشل على الأرض كما فشل في ضرباته الجوية، وتجربة العراق خير مثال لهذا الفشل." ويتابع أبو البهاء موضحاً استعدادات تنظيم الدولة الإسلامية: " معاركنا في عين الإسلام خطوة استباقية لهذا التدخل المتوقع، ومن نعم الله أن مصالح أعدائنا واستراتيجياتهم مختلفة."

وينقسم الأكراد السوريون بين مؤيد ومعارض، فمنهم من يرى بالتدخل التركي استعماراً جديداً وسيؤدي لاستبدال مستبد بمستعمر، ومنهم من يرى أن التدخل التركي يصب في صالح الثورة السورية. يقول السيد عدنان أحد النازحين من عين العرب: " يخطئ من يعتقد أن الأتراك سيدخلون لنصرة الثورة أو السوريين، فتركيا وكل من يدعون صداقة الشعب السوري لم يقدموا أي شيء سوى الكلام، وتركوا الأسد يدمر سورية شبراً شبراً." ويتابع السيد عدنان الحديث عن الأسباب التي تدفع تركيا لتدخل عسكري بري: " تركيا تريد أن تتدخل برياً لسببين، إنشاء منطقة آمنة تمكنها من طرد اللاجئين السوريين من أراضيها والتخلص من مشاكلهم المادية والأمنية، وثانياً التهيئة للنظام السوري الجديد على المقاس التركي، فسورية ستكون أرضاً خصبة للاستثمارات التركية."

ولعل ملف اللاجئين السوريين يمثل النقطة الأبرز في التدخل التركي فأردوغان تعهد أمام البرلمان التركي بإعادة مليون ونصف لاجئ سوري لديارهم، وربما قصد بذلك المنطقة العازلة، فأغلب اللاجئين بتركيا كانوا يقيمون بهذه المنطقة العازلة المزمع إقامتها، وربع مليون منهم من مدينة عين العرب (كوباني) وريفها، وقد تنقل المخيمات الموجودة في تركيا لهذه المنطقة الآمنة (العازلة).

وهذا ما يجعل غالبية اللاجئين يؤيدون التدخل التركي، فمعظم اللاجئين السوريين في تركيا ينظرون نظرة إيجابية للموقف التركي، يقول أبو نزار أحد اللاجئين في مخيم تل أبيض: "اللاجئون مع التدخل التركي، فقد سئمنا حياة اللجوء والعيش في الخيم، فنحن لسنا دواب تعلف، نحن بشر نريد أن نعيش كما يعيش الناس." ويدافع أبو نزار عن موقفه: " التدخل التركي يعني حظر جوي وهو ما سيمكننا من العودة لبيوتنا والعيش بسلام، فقد أجبرتنا طائرات الأسد على النزوح، والحظر لن يعيد اللاجئين فقط بل سيعيد الحياة لكل المنطقة التي يشملها الحظر الجوي."

وينقسم "الثوار" العسكريون على أنفسهم حيال التدخل العسكري البري التركي فمنهم من يعده سنداً للثوار، ومنهم من يعده دخول سورية في نفق مظلم آخر، يقول رعد مقاتل سابق في الجيش الحر: " لا أصدق أن أجهزة الاستخبارات الدولية لم تكن تدرك أن سورية ستصل لهذه النقطة، بل أرى أنها كانت تسعى للوصول لهذه النقطة التي تصبح فيها سورية مستباحة." ويتابع رعد شارحاً موقفه: " بإمكان الثوار فرض حظر جوي إذا قُدم لهم السلاح النوعي، بل بإمكانهم تحرير سورية ودحر الأسد وكل القوى الدخيلة، ولو أعطيت الثورة ربع ما يقدم للتحالف اليوم لانتصرت الثورة منذ زمن."

أما المدافع عن الموقف التركي فينطلق من حسن نيته بالأتراك، يقول أبو توفيق مقاتل سابق في الجيش الحر: " قدمت تركيا الكثير للشعب السوري، وليس من الإنصاف إلقاء اللوم على تركيا، فتركيا جزء من العالم الدولي، وتخضع لتوازنات هذه القوى الدولية."

السوريون منقسمون حيال التدخل باختلاف الزاوية التي ينظرون إليها للمواقف التركية، وتنظيم الدولة يعارض بشدة التدخل البري في سورية، ويعد ذلك اعتداء من قبل الكفار على دولة الإسلام، باعتبار أن المنطقة العازلة تشمل أراضٍ يسيطر عليها التنظيم، فيرى التنظيم أن الحكومة التركية مدفوعة من قبل أمريكا والقوى الغربية لاستئصال الدولة الإسلامية على الأرض بعد أن فشلوا بتحقيق مآربهم عبر الجو.

لكن المواطن السوري البسيط الذي يعيش في المناطق المحررة يرغب أن تمتد المنطقة العازلة لتشمل مدينة حلب، فذلك يعني حرمان الأسد من يده الطويلة (الطيران)، ويمكن الثوار من تحرير حلب الذي سيكون حكماً منطلقاً لتحرير دمشق وسورية.

الخلافات التركية – الأمريكية في الحرب على الإرهاب – «داعش» مثالاً

موسى القلاب *

بات واضحاً أن الخلافات بين تركيا والولايات المتحدة بعد الذي حدث بخصوص عدم انضمام تركيا الى التحالف الدولي ضد "داعش"، ليست سطحية أو ثانوية. كما يبدو أن جذور التناقضات بين الحليفين الأطلسيين عميقة وسقفها مرتفع. إذْ لم تظهر خلافات سابقة بهذه الذروة وعلى هذا النحو من قبل، خلال الازمات والمنعطفات السابقة منذ ما بعد حقبة الحرب الباردة. لقد أذابت المواقف الساخنة الأخيرة بينهما أكداس الثلج المتراكمة منذ عقود، وبان ما تحتها من تباينات حقيقية في وجهات النظر الثنائية المتعلقة بأهم القضايا الاستراتيجية والسياسية المهمة في منطقة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا. فجاءت الحرب ضد الارهاب و"داعش" مثالاً لم يسبق له مثيل، لتصب الزيت على النار التي كانت مختفية تحت الرماد، حيث لم يتسبب تنظيم القاعدة الذي ضرب الولايات المتحدة في عقر دارها عام 2001، ولا الحرب الأمريكية على العراق في عامي 1991 و2003 في مثل الفتور الذي جرى مؤخراً على العلاقات الثنائية بين واشنطن وأنقرة.

يرى المحللون أن حالة الفتور التركي تجاه الولايات المتحدة بدأت عندما لم تصغ الإدارة الأمريكية الحالية إلى مطالب الأتراك في ضرورة تنحي الأسد ونظامه عن السلطة في سوريا. فرغم تحمل تركيا كدولة مجاورة لسوريا من الشمال، أعباء اللاجئين السوريين الذين يُعدون أكثر من مليون ونصف، إلا أن واشنطن أهملت المقترحات التركية التي تتعلق بأهمية تحديد منطقة عازلة وأخرى لحظر الطيران السوري، لشل القدرات العسكرية السورية في ضرب المعارضة السورية من جهة، ولتجميع النازحين السوريين القادمين من مختلف المحافظات داخل الأراضي السورية من جهة أخرى.

لقد قرأت تركيا تصرفات وسلوكيات الساسة الأمريكان على كافة المستويات بأن حليفها الأمريكي لم يعد مكترثاً لكثير من القضايا الاستراتيجية المهمة للمصالح التركية. فإسرائيل لم تذعن بتاتاً للمطالب التركية المتكررة برفع الحصار عن غزة، على مسمع ومرأى من الإدارة الأمريكية غير المبالية لحلفائها الإقليميين مثل تركيا. كما أن تركيا تلقت صفعةً قويةً عندما جرى الإطاحة بحكم الإخوان المسلمين في مصر، ولم تحرك واشنطن ساكناً. ثم خسرت تركيا مخططاتها الاقتصادية مع ليبيا وتونس، وتراجعت علاقاتها الاقتصادية مع دول الخليج خصوصاً السعودية، باستثناء قطر، وزاد هذا التراجع عندما صنفت الرياض جماعة الإخوان المسلمين بأنها منظمة إرهابية وجرى حظرها. لكن التحدي الخطير ضد تركيا جاء من قبل حكومة بغداد المركزية عندما تصلب المالكي في مواقفه حول عدم جواز بيع إقليم كردستان لنفطه إلى تركيا مباشرة دون الرجوع له، فكان رد أردوغان وحليفه الوحيد المتبقي في المنطقة، بأن هذا الأمر يعود للأكراد والأتراك وليس لغيرهم. أما في لبنان الذي يعيش بدون رئيس للجمهورية، وبمجلس نواب غير شرعي إذْ أنه هو من مدد لنفسه، فإن صاحب القرار والنفوذ الفعلي هو حزب الله حليف الأسد وطهران، والعدو اللدود لأردوغان ولتركيا.

في ضوء تمدد الدولة الاسلامية "داعش" في سوريا شمالاً نحو عين العرب "كوباني" بقوة السلاح تحت وابل متواصل من الصواريخ والقنابل الفتاكة، وجنوباً في العراق نحو العاصمة بغداد، التي قد تسقط في أية لحظة بسبب ضعف الجيش العراقي، جاءت الضغوطات الأمريكية على أنقرة شديدة لأقصى الحدود، من أجل أن تدخل عسكرياً في منظومة التحالف الدولي – العربي، وربما بقوات برية. لكن الأتراك قلبوا لأوباما ومبعوثيه الى تركيا "ظهر المِجنّ"، ولم ترفْ لأردوغان وحكومته وحزبه الحاكم جفنٌ؛ قيد أنملة!

لا بل تفاقمت الأمور بين الجانبين إلى حد "التكذيب" من قبل الأتراك لما أعلنته واشنطن من أن تركيا وافقت على استخدام القواعد الجوية التركية للطائرات الأمريكية والحليفة لضرب أرتال "داعش" في كوباني التي توشك على السقوط، كما ذكر مسؤولون أمريكيون على مستوياتٍ عُليا، لكنهم حاولوا تدارك الوضع السيء المتدهور والقابل للانهيار، بقولهم أن الولايات المتحدة ما زالت تربطها بتركيا علاقات استراتيجية غاية في الأهمية.

كما أن الأوروبيين حلفاء الأمريكان التاريخيين عبر الأطلسي، ما زالوا مستمرين بغرس خناجرهم في الجسد التركي، مرةً باستبعاد انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، بذريعة خنق تركيا لحرية الصحافة وحظر الإنترنت والتعدي على حقوق الإنسان في إشارة للقسوة التركية ضد المتظاهرين والمحتجين المطالبين بمحاسبة المفسدين. ثم استنكار القسوة التركية في ضرب قواعد حزب العمال الكردستاني وقمع مظاهرات المدنيين الأكراد في جنوب شرق البلاد، المنددة بالموقف التركي الصامت و المتخاذل تجاه "كوباني"، وأخرى بسبب تعقيدات المسألة القبرصية، وغير ذلك. فكيف يستجيب أردوغان وبحماسته المعهودة للمناشدات الأمريكية غير المقنعة له، في حين يدير الجميع ظهره لتركيا، ويطلب منها الحرب على "داعش" والإرهاب، حسب مصالحهم هم وليس حسب مصالح تركيا الاستراتيجية العليا.

كانت تركيا في السابق تلبي رغبات حلفائها الاستراتيجيين مثل واشنطن والعواصم الأوروبية بدون تحفظ، وقبل قبض الثمن الموعود الذي تبين فيما أنه ليس أكثر من "قبض الريح"، لكنها اليوم ترى بأنها يجب أن لا تُلدغ من جحر واحدٍ مرتين، وأنها ليس بوسعها سوى قبض الثمن أولاً ثم بعد ذلك تفكر بمطالب الحلفاء!

لعلّ صاحب القرار الاستراتيجي التركي يسأل نفسه عن مبررات التعامل مع أطراف غير موثوقة لتضع أنقرة بيضها في سلالهم، إذا ما لبت المطالب الأمريكية، ودخلت بقواتها المدرعة والميكانيكية والخاصة، إلى معمعة "كوباني".

فقد قال عنها محللون أمريكيون وأوروبيون أنها استراتيجية الرئيس أوباما التي لا تمت إلى الاستراتيجية بصلة، وانها استخدام الحد الأدنى في سبيل تحقيق الحد الأعلى من الأهداف. لهذا السبب تبدو الخلافات الأمريكية – التركية حول الحرب على "داعش" والارهاب أنها أعمق بكثير مما يتصوره كثيرون، وقد وصلت فعلاً لا قولاً إلى حائطٍ مسدود.

*عميد(م) باحث استشاري في مركز الشرق للبحوث – دبي

النظام و«المعارضة»: انزلاقات وتقاطعات

فيكتوريوس بيان شمس

تعبر الثورات عادة عن وصول التناقضات السياسية بين أطراف العقد الاجتماعي إلى أقصى مراحلها، أي إلى مرحلة اللاعودة، حيث يصبح من العسير على النظام الحاكم تقديم تنازلات جوهرية حقيقية تضمن بقاؤه واستمراره، فيلجأ إلى العنف الذي غالباً ما يخلّف دماراً هائلاً على كل الصعد، يعتبر دليلاً موضوعياً على استحالة استمرار النظام بنفس الآليات السابقة للثورة عليه، بغض النظر عن قدرة الثورة على النجاح من عدمها. هذه هي السمة العامة لأي محاولة اجتماعية لتحسين شروط العقد الاجتماعي في الأنظمة المتخلّفة.

وعادة ما تبدأ مآزق الأنظمة التي تعاني من الثورات عليها تظهر من خلال التناقضات الكثيرة في بنية الدولة المأزومة، كأن تنهار معظم مؤسّساتها، فيما تبقى مؤسّسات القمع متمثّلة بأجهزة الأمن والجيش متماسكة أكثر من غيرها بكثير، وهو دليل على طبيعة الحكم، وأسباب الانتفاض عليه، كما في الحالة العربية بشكل عام، والحالة السورية خير مثال على ذلك.

تعبّر البنية المأزومة للدولة عن نفسها خير تعبير بالتخبّط وسوء التنسيق بين بقايا مؤسّساتها، كما في الحالة السورية التي اعتمد فيها النظام على مؤسّساته الأمنية منذ بداية الأحداث، فكانت تحيك التهم التي ستحاكم وتتعامل على أساسها مع الحراك الذي بدأ من محافظة درعا. إلا أن المسألة بتطوراتها الأخيرة وضعت النظام أمام عدّة منزلقات تخرجه من دائرة التخطيط والانسجام كبنية أمنية سياسية تسيطر على مفاصل أساسية في الدولة كالاقتصاد والإعلام، حيث بدأ إعلامه بإنتاج خطابين مضطربين: تهديدي للداخل، وتلفيقي للخارج، بما ترتّب على ذلك من اختلال قدرته على الاستمرار في السيطرة على حاضنته الاجتماعية التي بدأت تتململ بعد الخسائر الفادحة التي منيت بها. لكن التخبّط الذي أصاب النظام، أصاب "المعارضة" ممثلة بـ "الائتلاف الوطني لقوى الثورة" في الوقت عينه. هذه "المعارضة" التي لا تعبّر بالضرورة عن كافة شرائح وطبقات المجتمع السوري المنتفض، حتى ولو بدت في بداية الأحداث وكأنّها ضرورة لكل هؤلاء، إلا أنّها في المآل الأخير انزلقت سياسياً إلى جانب النظام في العديد من القضايا المصيرية التي كان باستطاعتها أن تتمايز فيها عنه، كالموقف من الإسلام السياسي، أو من التدخّل الدولي في سوريا. صحيح أن الحراك الثوري خصّص جمعة 16/آذار/2012 لطلب "التدخّل الدولي"، لكن هذا كان في ظروف مختلفة تماماً. فبعد عام على بداية الثورة لم تكن المنظّمات الأصولية الإسلامية قد دخلت على خط الأزمة، حيث تفرّد النظام وحده باستخدام العنف المفرط ضد المناطق الثائرة عليه في حين كان الحراك حتى ذلك الوقت مدنياً سلمياً إلى درجة كبيرة.

إلى ذلك، فإن التدخّل الدولي الذي بدأ صبيحة 23/9/2014، لم يكن استجابة لأي مطلب سوري، بل لتحقيق مصالح أكبر بكثير من أن يستطيع النظام أو "المعارضة" التأثير فيها، لكن كان بمقدور "المعارضة" لو أنّها تعبّر بالفعل عن آمال وطموحات الشعب السوري، وتتمتّع بحد أدنى من الاستقلالية، أن تبحث عن خيارات أخرى، كأن ترفض التدخّل بالشكل الذي حصل به الآن، أو على الأقل أن تتحفّظ عليه، خاصة وأن هنالك سابقة ليست ببعيدة، عندما حشدت أميركا أسطولها في آب/2013 قبالة السواحل السورية، لتجبر النظام على تسليم ترسانته من الأسلحة الكيميائية، ليُكشف بعد ذلك عن عدم تحمّس الإدارة الأميركية للإطاحة بالنظام. لم تأخذ "المعارضة" تجربة التدخّل الدولي في العراق بعين الاعتبار، وهو الذي مازال غارقاً بمشاكله إلى اليوم، والتي أصبحت تتكامل مع مشاكل المنطقة ككل لتؤسّس لمرحلة جديدة من الفوضى بسبب السياسات الطائفية التي أنتجها الاحتلال الأميركي في العام 2003، ولتستفيد منها إيران إلى أقصى درجة ممكنة.

وفي التطورات الأخيرة التي تدلّل على المواقف التي تفرض نفسها على "المعارضة" بشكل يحرمها من حرية الحركة في اتّخاذ المواقف والقرارات، تمدّد "داعش" باتّجاه أهم المناطق ذات الأغلبية الكردية بالتزامن مع بدء عمليات طيران التحالف الدولي، وبالتزامن مع الضبابية الأميركية بالتعاطي مع الطلب التركي بتنحية بشار الأسد. وعدم تسجيل أي موقف بالمقابل من الاشتراطات التي تضعها تركيا لحماية المناطق الكردية من خطر "داعش". مع أن أي موقف بهذا الخصوص، لن يؤثّر إطلاقاً بالتعاطي التركي مع المسألة سلباً أو ايجاباً. لكن لارتباك "المعارضة" في هذا المجال أكثر من تفسير: الاعتقاد بأن طموح الوصول إلى السلطة سيؤمّنه التدخّل التركي المشروط، إضافة إلى تحاشي خسارة الاحتضان التركي الذي عوّض بشكل ملحوظ وكبير عن التضييق الذي مارسته معظم الأنظمة العربية على نشاطات وتحرّكات "المعارضة".

إذا كان هذا صحيحاً، فهو أيضاً يخضع لأكثر من تفسير، فمن جهة يعني أن "المعارضة" تتعامل مع أدق المسائل الوطنية بانتهازية، لا يصح وصفها هنا بالبراغماتية، أو الواقعية السياسية. و يعني من جهة ثانية قبولها أن تكون ورقة بيد من يرعاها، والكارثة في الحالتين واحدة.

إذا كانت "المعارضة" تتعاطى مع أكثر المسائل الوطنية حساسية بهذا الشكل، ما الفرق بينها وبين النظام الذي مارس كل أنواع الشوفينية والتمييز والاضطهاد طوال فترة حكمه ضد الأكراد، ليبدأ اليوم بالتباكي عليهم دون أن يحرّك ساكناً لإنقاذهم، فيما تستمر طائراته بقصف القرى والمدن الأخرى كالمعتاد، بعيداً عن مناطق الصراع مع "داعش"؟.

لكن أيضاً لتباكي النظام المفاجئ على الأكراد أكثر من سبب وتفسير، تتشابه إلى حد بعيد مع الأسباب والتفاسير التي تنطبق على "المعارضة"، أهمّها، محاولة الظهور كمكافح لـ "الإرهاب"، وثانيها كيدي فقط لأنّه يتقاطع مع غالبية الأكراد بالعداء لتركيا. وهو يحاول أن يظهر بهذا الشكل، حتى وإن كان الثمن تقسيم البلاد لقيام دولة كردية على حدود تركيا، ما يعني إدراكه محدودية عمره الافتراضي، واستحالة القدرة على البقاء والاستمرار.

يبقى السؤال الأهم: بعد تحوّل "المعارضة" إلى عبء إضافي، أما زال بإمكان الشعب السوري العودة إلى نقطة الصفر لإعادة بناء البديل؟

مؤشرات الاستثناء التونسي

(٣) - المشهد السياسي عشية الانتخابات

د. عبد الله تركماني (*)

عاش التونسيون، خلال السنة الأولى من الثورة، حالة من الولع بالسياسة، ولكنّ تواتر الصراع السياسي بين النخب وتصاعد الإرهاب كانا من جملة العوامل التي غذّت، فيما بعد، ابتعادهم عن السياسة، بالرغم من وجود نحو 120 حزباً سياسياً.

ولئن كان يصعب القيام بعملية ترتيب موضوعية ودقيقة للأحزاب التونسية، من حيث قوتها وإشعاعها على الساحة السياسة، فإنّ مختلف التصنيفات للأحزاب اليوم تعتمد بالأساس على نتائج انتخابات أكتوبر/ تشرين الأول 2011 رغم أنّ بعض الأحزاب، وخصوصا حزب "نداء تونس" لم تكن موجودة حينها، فضلاً عن بروز أحزاب أخرى هي بالأساس منشقة عن أحزاب معروفة تاريخياً على الساحة السياسية.

ويمكن تصنيف الأحزاب التونسية إلى مستويات كثيرة يأتي في مقدمتها كل من "حركة النهضة" التي يتزعمها راشد الغنوشي، و "نداء تونس" الذي يرأسه الباجي قائد السبسي. وفي مستوى ثانٍ نجد مجموعة أخرى من الأحزاب مثل "حزب التكتل من أجل العمل والحريات" برئاسة مصطفى بن جعفر و "حزب المؤتمر من أجل الجمهورية" الذي كان يرأسه محمد المنصف المرزوقي قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، و"الحزب الجمهوري" الذي تقوده مية الجريبي وأحمد نجيب الشابي، و"حزب المسار الديمقراطي الاجتماعي" (الحزب الشيوعي التونسي سابقاً) ويقوده سمير الطيب. كما نجد في هذا المستوى "الجبهة الشعبية" وهي عبارة عن تحالف بين عدد من الأحزاب اليسارية والقومية، وفي مقدمتها "حزب العمال" الذي يترأسه حمة الهمامي.

كما نجد مجموعة أخرى من الأحزاب التي تصف نفسها بالبورقيبية أو الدستورية، وتترأس بعض هذه الأحزاب شخصيات عملت مع الرئيسين السابقين الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي.

وهكذا، يمكن أن نلاحظ ثلاثة أقطاب بارزة في تونس، أبرزها "حركة النهضة" وشريكاها السابقين في الحكم (المؤتمر والتكتل) وبعض الحلفاء الآخرين، ومن ثم "نداء تونس" وما يحتضنه من حساسيات دستورية وديمقراطية ويسارية وليبرالية، وأخيراً الجبهة الشعبية التي تجمع اليساريين والقوميين.

أما "النهضة" كحزب وكتنظيم ورغم أنه ظل منضبطاً ومتماسكاً – تنظيمياً وسياسياً – فإنّ حجمه الانتخابي سيتقلص بسبب تغيّر المعطيات، سواء نتيجة لأداء الحزب أو بسبب إدارته لدفة الحكم خلال سنتين من حكم الترويكا الإسلامية – العلمانية.

وبين جميع النقابات في العالم العربي يتميز "الاتحاد العام التونسي للشغل" بخصوصيات أساسية هي، إلى جانب الدور النقابي المهني، أدواره الاجتماعية الإصلاحية التنموية، وبالأخص دوره السياسي والوطني في الفترات التاريخية المفصلية.

وهكذا، يعيد المشهد التونسي السياسي تشكيل نفسه استعداداً للانتخابات المقبلة، التي يصفها ساسة تونسيون بأنها ستكون الأهم في تاريخ البلاد، وفاصلة في تحديد مستقبل تونس. والخارطة، في شكلها الحالي، تتميز بتشظٍ كبير سيقود إلى تقطيعها إلى كانتونات صغيرة، وسيؤدي بالضرورة إلى توزّع كبير لأصوات الناخبين، ولكنه يخدم الأحزاب الكبيرة ذات القاعدة الشعبية الواسعة.

إنّ الناخب التونسي بدأ يفقد الأمل في أغلب الأحزاب التونسية في ظل معاناته الكبيرة من الغلاء الفاحش في الأسعار وانهيار القدرة الشرائية وانخفاض قيمة الدينار، مما ينطوي على إمكانية حدوث مفاجآت غير متوقعة في الانتخابات المقبلة.

الوجه الآخر من الاختبار الذي ستواجهه الأحزاب التونسية، في الأيام والأسابيع المقبلة، يتعلق بنوعية الخطاب الذي سيقدم إلى التونسيين. هل ستسقط هذه الأحزاب في الصراعات الأيديولوجية، ما سيؤدي إلى القفز على الواقع الصعب والمعقد الذي يواجهه التونسيون، أم أنّ السياسيين سيراجعون حساباتهم، ويؤسسون لحملة انتخابية قائمة على البرامج والرؤى البديلة؟. فهل ستكون الأحزاب قادرة على كسب ثقة التونسيين، وإقناعهم بأنّ نظام تعدد الأحزاب هو الأصلح والأفضل، مقارنة بالحزب الواحد الذي أنهك البلاد، ودفع بها إلى الثورة ؟

إنّ مسؤولية الأحزاب كبيرة، فهي لا تضع نفسها، اليوم، فقط في الميزان، وإنما قد تعرّض مضمون الثورة والانتقال الديمقراطي إلى التشكيك والمراجعة. ومع اقتراب موعد الاستحقاق الانتخابي، التشريعي والرئاسي، تقف القوى السياسية التونسية، بشقيها الإسلامي والعلماني، في مفترق طرق.

* باحث استشاري في " مركز الشرق للبحوث " – دبي

مخاطر انزلاق لبنان إلى حرب أهلية

■ ميشال يونغ- ترجمة وإعداد «البديل»:

تتركز أنظار المجتمع الدولي على العنف الطائفي في العراق وسورية، بينما لا يحظى الوضع المعقد بين السنة والشيعة في لبنان باهتمام كبير، وهو ما يجعل من احتمال تعرض هذا البلد لعاصفة داخلية أمراً وارداً، بل وواقعياً.

في بلدة عرسال الموجودة في وادي البقاع ، جيب سني في المنطقة ذات الأغلبية الشيعية، والجهاديين هاجموا مؤخراً وحدات من الجيش اللبناني واختطفوا جنوداً بتهمة التواطؤ مع حزب الله، وتكمن أهمية عرسال في كونها منطقة متاخمة لمنطقة القلمون في سورية، حيث يدور القتال منذ أشهر بين فصائل المعارضة ووحدات من الجيش السوري النظامي وقوات من حزب الله.

عندما ورد نبأ قطع تنظيم الدولة الإسلامية رأس أحد عناصر الجيش، وهو جندي من الطائفة السنية، فإن عدداً قليلاً من السكان أدان، في لقاء تلفزيوني، هذا العمل، وبدلاً من ذلك، فإن السكان ركزوا غضبهم على السياسيين اللبنانيين، وكثير من اللوم يلقيه الناس اليوم بشأن تدهور العلاقات الطائفية على الوضع الاجتماعي والاقتصادي السيء، والذي يعد في حد ذاته نتيجة للصراع في سورية.

لقد عانت مختلف القطاعات الاقتصادية اللبنانية بشدة، خاصة قطاع السياحة الذي يعاني من حالة "جفاف"، بالإضافة إلى الخدمات والبناء، وهذه القطاعات هي ركائز الاقتصاد اللبناني

البنية التحتية للبلاد هي في شكل مفجع. يتم تقنين الكهرباء – في بعض الأماكن لبضع ساعات يومياً. وقد أدى الجفاف في فصل الشتاء إلى نقص حاد في المياه.

اللبنانيون الآن يعتمدون بشكل متزايد على المولدات الخاصة والمياه المستوردة، وهي مكلفة، كما يقلل اللبنانيون من استهلاكهم، ما يعني ضعف النمو الاقتصادي، بالإضافة إلى أن الديون تقدر بما يقرب من 150٪ من الناتج المحلي الإجمالي، والانهيار الاقتصادي هو الآن حالة وشيكة الحدوث.

في هذه الظروف، فإنه ليس من المستغرب أن يعتبر اللبنانيون أن فساد الدولة وعدم فعاليتها المصدر الرئيس لمتاعبهم، وهذا الاستياء العام يزيد من تفاقم التوترات السياسية والطائفية.

في حين أن المزاج العام في المجتمع السني في لبنان أصبح معادياً على نحو متزايد، خاصة بعد سلوك حزب الله في السنوات الأخيرة.

بعد اغتيال رفيق الحريري، أجبرت الاحتجاجات واسعة النطاق الجيش السوري على الانسحاب من لبنان، وخشي حزب الله من عواقب رحيل حليفه الاستراتيجي في تغيير موازين القوى لغير مصلحته، وراح الحزب يقوم بترهيب خصومه.

في عام 2008، اجتاحت قوات حزب الله الاحياء السنية في غرب بيروت، مما أسفر عن مقتل العديد من المدنيين. في عام 2011، أطاح برئيس الوزراء سعد الحريري، نجل رفيق الحريري، وعين بدلاً منه الزعيم السني المفضل للحزب، والأهم أنه أعلن في عام 2013 وقوفه إلى جانب نظام الرئيس السوري بشار الأسد في حربه ضد قوات المعارضة المسلحة، وهي في غالبيتها من السنة.

كان من الطبيعي أن تؤدي تصرفات حزب الله إلى تفاقم التوترات بين السنة والشيعة في لبنان، هذا البلد الذي يحيا من خلال ماكياج طائفي معقد.

تضاعفت الأخطار عندما تمكن تنظيم الدولة الإسلامية من السيطرة على الموصل في العراق وتوسيع سلطته في سورية. رغم أن معظم السنة في لبنان هم من المعتدلين، لكن الكثير ين منهم لا يسعه إلا أن يشعر ببعض الارتياح لخسائر الحكومة العراقية التي يهيمن عليها الشيعة، والهزائم العسكرية التي تلحق بقوات الأسد في شرق سورية.

يدرك السنة أن حزب الله غارق في المستنقع السوري، ويعتقد أن عدة مئات من مقاتليه لقوا مصرعهم منذ ربيع 2013. وهم يعرفون أن حزب الله لن يكون قادراً على احتواء انتفاضة سنية في لبنان، ولهذا السبب فقد اعتمد حزب الله على الجيش اللبناني للمساعدة في قمع التمرد السني. نطاق الجيش لاتخاذ إجراءات هو نطاق محدود، فنسبة الجنود السنة داخل الجيش هي حوالي 30٪ من تعداده العام.

يضاف إلى هذا المزيج المتفجر من القضايا المتأزمة وجود 1.5 مليون سوري – لاجئ الآن في لبنان، والجماعات السلفية الجهادية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، الذين، مع السخط الاقتصادي، قد يكونوا عناصر مشتعلة في حرب طائفية، وإذا حدث ذلك، يمكن أن يغرق حزب الله في هذه الحرب، خاصة وأن المجالات الثلاثة للتركيز الشيعي تقع في الضاحية الجنوبية لبيروت وجنوب لبنان ووادي البقاع الشمالي – وهي مواقع منفصلة جغرافيا، مع خطوط اتصال تمر عبر المناطق ذات الاغلبية السنية.

الحكومة اللبنانية سوف تضطر إلى العمل الجاد للحد من خطر وقوع السيناريو الأسوأ. ولكن، مع انعدام قدرة البرلمان على انتخاب رئيس جديد للجمهورية بعد أربعة أشهر من فراغ المنصب الرئاسي، وتحديات الحياة اليومية المتزايدة، فإن لا شيء يشجع على تصور وجود عمل جاد للحكومة.

يمكن القول إن التوتر الطائفي في لبنان وصل إلى مستوى مشؤوم. تجنب الحرب، ناهيك عن حل بعض المشاكل الاقتصادية في البلاد، سيكون إنجازا كبيرا. إذا كان المجتمع الدولي جاداً في مواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، وإيجاد وسيلة لمنع تآكل المزيد من النظام في الشرق الأوسط، فإن قادة التحالف الدولي يجب أن يفكروا في المنطقة ككل، ويجب أن تشمل رؤيتهم حشد كل الإمكانات لتأمين استقرار لبنان.

تماثل الأزمنة وتغيرّ الأدوار.... مقاربة عوامل إجهاض مشروع النهضة

■ ياسر بدوي

يوصف المشهد العربي العام بالانحطاط الفكري، بسبب التخلف الديني و الاجتماعي، وتدني مستويات العلوم الإنسانية، ما منع ويمنع قيام أي ثورة حقيقية، وتغليب الجوانب العسكرية على ضرورات إطلاق الثورة المعرفية .

أجهضت النهضة العربية في بداية القرن العشرين سواء على صعيد الفكر العلماني أو على صعيد الفكر الديني. الفكر الديني انتكس بعد الشيخ محمد عبده وتلامذته، ما أنتج فيما بعد فكر الإخوان المسلمين، والفكر العلماني الذي كان قد تتطوّر خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أصيب بنكسة بسبب الأنظمة الاستبدادية – وكلاء الغرب الاستعماري، بينما يعزى السبب الأول لدخول الانتدابات الأجنبية واحتلال البلاد العربي ، مع سقوط الدولة العثماني ، وهذا ما أدى إلى طغيان الفكر الرجعي على الفكر الإسلامي المتنور، بدعم من أنظمة عربيّة، وما أنتجه العقل الغربي المستعمر من كيانات سياسية هشة مقطعة ، اضافة الى إنشاء دولة إسرائيل

. أما النكسة الكبرى التي جعلتنا نتقهقر أكثر فأكثر جاءت مع نكسة 1967 ، حيث انطلق شعار "الإسلام هو الحل" أو "الشريعة هي الحل"، واستدعاء تجارب الماضي لتطبيقها في الواقع العرب، وإن لبست بعض أثواب تحديثية ، وفي المقابل حاول العلمانيون استنساخ تجارب غربية لها سياقاتها التاريخية على مجتمعاتنا.

وفي إطلالة على بعض ملامح عصر النهضة، حيث هناك إجماع على أن هذا العصر، حمل ملامح الوعي الإصلاحي، واتخذ هذا الوعي صورة مشاريع في التقدم والترقي واليقظة ومواكبة للديناميكية التاريخية الجديدة التي بعثها المد الإمبريالي في الجغرافيا العربية وخاصة مصر والشام، حيث تبلورت بشكل واضح الأفكار السياسية الإصلاحية الكبرى في التاريخ العربي المعاصر، وعبرت عن حركة فكرية ذات نزوع نهضوي شامل، وبرزت محاولات مستنيرة لتفسير الإسلام تجاوزت كل ما هو مألوف في التأويل والاجتهاد، وأصبح الحديث عن الإسلام يعني الحديث عن الحاضر والمستقبل، وبات العقل موازيا للإيمان في أهميته إن لم يكن أكثر أهمية منه.

ومن أسباب النهضة نشأة المدارس الأجنبية المختصة بالإرساليات وغيرها من الوطنية والعصرية، وانتشار فن الطباعة الراقي في الشرق الأدنى، والاهتمام بالصحافة والتأليف، وتأسيس الجمعيات الخيرية والأدبية والعلمية والأندية الرياضية، ونهوض الأحزاب السياسية، بناء المكتبات العامة والخاصة، واشتغال المستشرقون بالآداب العربية وعلومها.

عرفت مصر وسورية ولبنان ظهور عدد مهم من النهضويين، وكان لمصر خصوصية مهمة في هذا الإطار، نتيجة بعدها عن مركز السلطنة العثمانية، ما جعل كثر من المفكرين والأدباء يقصدونها، وبرزت طاهرة "الشوام"، وكان صالون ماري زيادة معبراً عن روح العصر ومن رواده شبلي شميل، وأنطون الجميل، لطفي السيد الفيلسوف الديمقراطي، وصادق الرافعي المفكر الاسلامي، ومصطفى عبد الرازق، وأحمد شوق ، وحافظ ابراهيم، وطه حسي ، والعديد من المفكرين و المثقفين . في الوقت الذي كان أهل الفكر و التنويريين ، يصوغون مشاريعهم النهضوية ، كان سايكس وبيكو يرسمون الخرائط ، والشريف حسين يراسل مكماهون ، والسيد بلفور يكتب الوعد البريطاني ، للتخلص من مظلومية اليهود بإيجاد كيان سياسي لهم ، وكان شتيرن يؤسس كتائب الهاغاناه ؟

مع ظهور أول مشروع كيان سياسي في سوريا ،عندما نُصب فيصل ملكاً على سوريا عام 1918 ، وتشكيل أول حكومة عربية نهضوية ، سارع المشروع الغربي للانقلاب على الثورة العربية، ودخلت القوات الفرنسية لبنان وسوريا ، والقوات البريطانية مصر والعراق وفلسطين ، وعادت لغة العداء و السلاح ترتفع و تطغى عل لغة العقل .

الخطاب الذي انطلق في عصر النهضة متفاوت ومتباين. وجد الخطاب الترائي في الإسلام ، وفي جزء كبير من الموروث الثقافي الفكري، أداة لصياغة وعي مجتمعي مستقل عن المرجعية الفكرية الغربية ، فهو لم يسلم بهزيمة الإسلام والعرب أمام أوروبا ولم يصادق على النتائج التي أحدثتها حملتها سياسيا وفكريا ، بل أكد على التواصل بين هذه الذات وماضيها الإسلامي كعنصر لحمة من الضرورة العودة إليه في مرحلة تفكك للتصدي للمسألة المركزية المتجسدة في التسلط الأجنبي، خاصة على المستوى الثقافي ، وقد مثل هذا الخطاب كل من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده.

أما الخطاب التحديثي في عصر النهضة العربية ، وجد في أوروبا، وفي موروثها الثقافي والفكري، مادته لبناء وعي مجتمعي مستقل عن المنظومة المعرفية الإسلامية، ذلك أن هذا الخطاب أخذ يتبلور في سياق الضغط والتسلط الاستعماري وبتأثير منه، تحدد ضمن الإشكالية التي ساهم الغرب في صياغتها، وهي هزيمة العرب وانتصار أوروبا الحديثة، ولهذا فإنه كان صدى إعادة إنتاج– من موقع المغلوب الذي يعترف للغالب بهزيمته– للرؤية التي صاغها الغرب لتاريخنا بصفته الغالب الذي يملك حق تسمية المغلوب)أي تعيينه وتعيين إشكاليته التي يصدر عنها خطابه)، فظهر التعلق بالمقولات الغربية والنزعات العلمية والقومية والاشتراكية، وما يغري على التمسك بها.

وحسب رؤية الدكتور أنور الزعبي ، فإنه من هذه النقطة برزت الإشكالية الكبرى في عصر النهضة الكبرى، وهي ...أن نعي الظروف التي كانت سائدة في العالم العربي والإسلامي آنذاك ، وما قبله، فمن جهة كانت الحركات الإصلاحية التي شهدتها نهاية الفترة العثمانية بجملتها كالوهابية والسنوسية والمهدية تنحو منحىً سلفيا في تناول المسائل ، ومن جهة ثانية، فإن الفكر العربي وأنماطه الوافدة عبر الاحتكاك بالغرب والاستعمار أصبحت تبهر بعض المفكرين من رواد النهضة، وما نتج عن هذا أن ظهرت اتجاهات نهضوية ثلاثة تبلورت فيما بعد بالتيارين السلفي الأصولي الساعي إلى استعادة الماضي وإحلاله في الحاضر ، والتيار التغريبي الساعي إلى استعارة النماذج الغربية، من ليبرالية واشتراكية، والتيار الجامع بين هذا وذاك، على تفاوت الجميع في الفهم والتمثل والاستيعاب والاستفادة...مما ترك تضاربا بين كثير من هذه التوجهات...

وتعود اليوم المشروعية لسؤال : كيف السبيل لإطلاق نهضة جديدة تستفيد من التجربة السابقة؟ بعد أن وصلت القناعات إلى استحالة النهوض بالماضي، أو تركيب التجارب الغربية، من أجل تمتين المجتمع العربي اجتماعيا و سياسيا ومعرفيا ضد فيروسات الوكلاء المحليين الذين يرفعون راية الحداثة ويغتالونها بالطائفية البغيضة، والحكم بأساليب ما قبل قبلية.